

شنقيط

إرث الصحراء



شنقٲٲ

إرث الصحرآء

تحرير وتنسيق المحتوى: كارمن مورنو آدان

رسوم: كارمن بويينو كارثيا

تصميم وتنسيق الطباعة: ربكا كومس كوردو

نصوص: خافيير تاكون كلاين وكارمن مورنو آدان

معاون – مراجعة النصوص: محمد الأيمن بحان

بالتعاون مع: آنا ماريا سانتشيز سالثيدو

الصور الفوتوغرافية للصفحات (14, 18, 24, 29, 30, 54-63): ميكل ليثانا باركو

مراجعة النصوص وتنضيد اللغة العربية: نيروز بكور

الكatalog العام للنشرات الرسمية: <https://publicacionesoficiales.boe.es>

يعود الفضل بظهور هذه النشرة إلى المؤسسة الإسبانية للتعاون الدولي من أجل التطوير (AECID). محتوى النشرة

لايعكس بالضرورة موقف المؤسسة (AECID).

© حقوق هذه النشرة محفوظة للمؤسسة الإسبانية للتعاون من أجل التطوير (AECID) وتراشيديا (Terrachidia).

© حقوق النصوص والصور، تراشيديا (Terrachidia).

رقم الإيداع: 109-19-086-5

الرقم الدولي: M-32897-2019

نشرة غير مخصصة للبيع

نتوجه بالشكر لكل أولئك الأشخاص في شنقيط الذين أطلعونا على جمال
مدينتهم. وبشكل خاص العلماء عبد الرحمن الحنشي ومصطفى محمد
محمود وسيدي محمد غلام، وكل ممثلي العائلات مالكي المكتبات والذين
فتحوا لنا أبواب بيوتهم وأظهروا لنا غنى إرثهم.

الفهرس

6	تمهيد
9	تقديم
10	1. جغرافيا
12	1.1. منطقة اتمر، جبل التمر
14	2.1. استيطان منطقة آدرار
16	2. تاريخ
18	1.2. القوافل
20	3. مدينة شنقيط. تخطيط مدني وعمارة
22	1.3. النسيج السكاني
25	2.3. البناء التقليدي
32	4. مكاتب مدينة شنقيط
52	5. مجموعات المخطوطات: إرث أُسري
56	1.5. فنون الكتاب. الآلات والأدوات التقليدية
60	2.5. أعمال موجهة للحفاظ على التراث
64	6. الحفاظ على التراث كأداة للسلام

إنه لمن دواعي سرورنا أن نتمكن من المشاركة في هذا الدليل عن شنقيط والمحقق بمناسبة المهرجان التاسع للمدن القديمة والذي سيقام هذا العام 2019 في مدينة صنفها منظمة اليونسكو مع كل من وادان وتبتشيت وولاتة إرثاً للإنسانية. وكون المهرجان قد غدا تقليداً، فقد أرادت السفارة الإسبانية في موريتانيا المشاركة الفعالة في هذا المهرجان التاسع آخذة بعين الاعتبار الأواصر الوثيقة في الماضي والحاضر التي تربط ليس فقط بين اسبانيا وجمهورية موريتانيا الإسلامية وإنما كذلك بين كل واحدة من المدن السالفة الذكر التي تحتضن المهرجان كل عام. إنها بالإضافة لمناسبة رائعة تسمح بإجراء تقييم وتذكر بكل جهد حققته التعاونية الإسبانية على مدى الأعوام في مدن القوافل هذه، تحديداً في تلك التي نحن فيها الآن أي مدينة شنقيط "سابع مدينة إسلامية مقدسة".

كانت شنقيط في العصور الوسطى مركزاً تجارياً بين شمال إفريقيا وإفريقيا السوداء، كما أضحت في مراحل لاحقة مدينة ثقافية وأكاديمية مهمة ما منحها تكتنيات، من بين العديد من تسمياتها، "مدينة المكتبات" أو "سوروبون الصحراء"، كما أنها شكلت مع باقي مدن القوافل في موريتانيا نقطة التقاء تاريخية بين اسبانيا وإفريقيا، كما يعكسه محتوى بعض المخطوطات التي تحتضنها مكتباتها.

إلا أن ماضي شنقيط الغني والهام لا ينسينا حاضرها. ففي الواقع على شنقيط وسكانها، الذين يناهزون الـ 4500، أن يواجهوا سلسلة من التحديات الفائقة كالتصحر وبطالة الشباب والعزلة، إلخ. مشاكل يقاومونها بلا هوادة.

في هذه الوظيفة الهامة ومن خلال الإمكانيات المتاحة لتعاونيتنا، يسعدني القول أن اسبانيا كانت دائماً متضامنة. في هذا السياق، إنه لمن دواعي السرور أيضاً التأكد من الدرجة التي يتم فيها التقدير والتعاطف من ناحية السكان مع المشاريع التي ينفذها التعاون الإسباني منذ أعوام في عدة مجالات مثل المياه والصرف الصحي والصحة (مشفى) أو التعليم (مدرسة) من بين أعمال أخرى. ومن المؤكد أنه يبرز اليوم من بين هذه المشاريع مشروع "دعم رقمنة وحماية والحفاظ على مجموعات المخطوطات في شنقيط" والذي ينفذ في إطار برنامج الإرث من أجل التطوير في مكتب التعاون الدولي الإسباني (AECID). لقد أبرزت أهميته مؤخراً في محاضرة "الإرث الثقافي للموريتاني" والتي أقيمت في البيت العربي (مدريد) يوم الرابع عشر من مارس آذار الماضي في إطار برنامج اللقاءات بين ممثلي كل المؤسسات الموريتانية المشاركة فيه مع نظرائهم الإسبان.

إن الهدف الأساسي من هذا الدليل هو أن يكون أداة تشرح للمسافر الميزة الرئيسية للمدينة، تاريخها وعمارتها. كما تسمح باكتشاف المكتبات والتقليد العائلي الذي يصب في مجموعات المخطوطات



الهامة. يتعمق النص، المرفق بالصور والمخططات والرسومات المائية الأصلية، بفكرة منح المدينة أسساً تاريخية يعتمد عليها للتمكن من بناء قواعد جديدة تربط ماضيها العظيم بمستقبل مفتوح على السياحة الوطنية والأجنبية، ما يسمح بتطورها وبالمزيد من الإزدهار، ليس مجرد كقابلة سياحية فقط وإنما كمدينة حية تقدم للزائر كل الإمكانيات التي يمكن أن يظهرها سكانها للزوار.

أخيراً اسمحو لي، وأنا أتكلم باسم كل من شارك في هذه النشرة من الدليل، أن أرجو لكم الاستمتاع بمدينة القوافل التاريخية هذه والتي تضم كذلك بين كنوزها مقر الإقامة المذهل والذي يعرفه البعض بفندق "الألف نجمة".

خوس إينغاثيو سانتوس أغوادو
سفير اسبانيا في موريتانيا



تقديم

شنقيط، عاصمة ثقافية ووجهة سياحية لموريتانيا

إن شنقيط، والتي تأسست في القرن الثالث عشر، هي مدينة-واحة في الصحراء ارتبط تطورها بشكل مباشر بالقوافل التجارية حتى وصول وسائل النقل الحديثة. كما أنها كانت نقطة انطلاق لطرق الحج باتجاه الأماكن الإسلامية المقدسة.

إلا أن شنقيط تدين بشهرتها وربما بوجودها، فوق كل شيء، إلى النشاط الثقافي المكثف فيها. والشاهد على ذلك هي المكتبات التي ماتزال محفوظة فيها حتى يومنا هذا.

على الرغم من عزلتها ومن التهديد المتواصل لرحف الكتبان الرملية، تتابع المدينة نموها وقد صنفها اليونسكو إرثاً عالمياً.

لكل ما ذكر وبفضل سعيها وموقعها الجغرافي أصبحت شنقيط الوجهة السياحية الأولى في موريتانيا. إن مرقدها الرائع، حيث تتداخل كتبان الصحراء البيضاء والذهبية مع صخور أدرار الرمادية وأشجار النخيل الخضراء فيه نَفَسٌ غريب كفاية.

يمكن للزائر أن يتمتع بمنظر الغروب والسماء النجمية من قمم الكتبان، كما يمكنه أن يستكشف الشروق في محيط ساحر، حيث يشوب هدوءها هفيف النسيم وتهويد الرمال.

كما يمكن له أن يزور محيط المدينة والمواقع ما قبل التاريخية العديدة وفيها رسومات تصور النشاطات الزراعية والرعية، شاهد على شغل المنطقة منذ آلاف السنين.

شنقيط هي أيضاً مدينة أشجار النخيل المثمر، وتستعمل جذوع أشجارها وأوراقها في الأعمال الحرفية وفي العمارة التقليدية دون أن ننسى ثمارها.

إن موسم "الكيطنة" أي موسم جمع التمور الناضجة بين أشهر يوليو/تموز إلى سبتمبر/أيلول، هو مهرجان بحد ذاته. يتمتع سكان المدينة وزوارها القادمين من أنحاء موريتانيا بالتمور ويُحيون الأمسيات بالموسيقا.

لقد سمح تحضر المدينة منذ القدم بتطوير فن طبخ مخصص ومتنوع، من الكسكس المصنوع من السميد المطحون يدوياً في المطاحن المحلية "الرحى"، وحتى فطائر القمح والشعير، أو أنواع عديدة من الأطعمة المعدة من اللحم الطازج أو المقدد.

الولوج إلى شنقيط سهل، نزلها مريحة وطبيعة سكانها المرحة تدعو المسافر للعودة إليها.

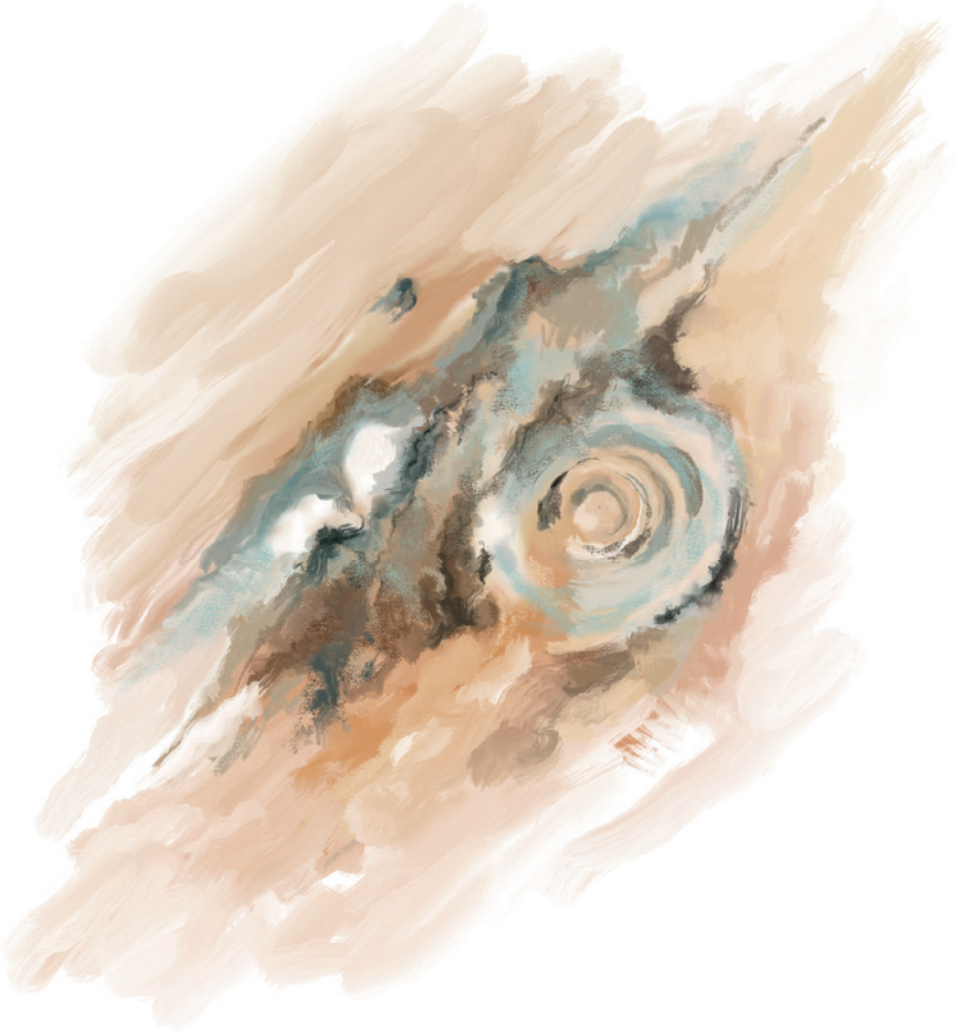
محمد ولد اعماره

عمدة بلدية شنقيط منذ عام 1998

جغرافيا

10

السياق الجغرافي للمنطقة



شنقيط هي مدينة-واحة موريتانية تقع في الشمال الغربي من الصحراء الكبرى، في منطقة آدرار، على بعد 90 كم من أطار. ويبلغ عدد سكانها حوالي 4800 نسمة وفقاً لإحصاء سكان عام 2013*. رغم أن موقعها الأول محاط بحدائق النخيل والبساتين، فهي حالياً توجد بين الضفة الجنوبية لوادي البطحاء، الخالي من المياه يومنا هذا من جهة، والكتبان الرملية الضخمة من جهة أخرى.

إن المناخ متناقض للغاية، حيث تصل درجات الحرارة المرتفعة إلى 50 درجة مئوية خلال الصيف بينما تقارب الصفر ليالي الشتاء. هطول الأمطار نادر جداً، وعندما يسقط يكون غزيراً محدثاً للسيول. يكتنن موسم الأمطار باسم "الوادي"، إذ هو الأوان الذي يمتلئ فيه مجرى الوادي بالمياه.

تأتي مصادر المياه المتوفرة من ينابيع جوفية ويتم استغلالها بشكل متزايد ما يجعل منسوبها يتناقص عاماً بعد عام. من الشرق إلى الغرب من مدينة شنقيط نجد مسارات ومساحات يكسوها غطاء نباتي، حيث لا تزال تنمو أشجار النخيل وبعض الطلح وبساتين صغيرة مزروعة بالبرسيم. داخل المنطقة الحضرية نجد بعض الأشجار التي تظل المتحدثين وأنشطتهم اليومية.

كما هو الحال في مدن الصحراء الكبرى الأخرى، يشكل التصحر والهجرة تهديداً كبيراً، التخلي عن البساتين والمنازل يسمح بتقدم الكتبان الرملية التي تغطي دون هودة المنازل والشوارع.

* Adrar en chiffres 2014-2018. Recensement Général de la Population et de l'Habitat (RGPH 2013) (enlace)

منطقة آدرار-التمور جبل التمور

آدرار، المنطقة التي تقع فيها شنقيط، تكشف للعيان مناظر طبيعية ذات جمال خلاب. يتم هنا كسر السهل الهائل الذي يميز التضاريس في معظم أنحاء البلاد مع ارتفاع هضبة كبيرة. التسمية ذاتها تمنح فكرة عن خصوصيتها: آدرار تعني الجبل. إنها منطقة من التكوينات الصخرية الوعرة بها أودية وصحاري صخرية، "لحماده"، والتي يتم تليفيها عند المرور بكتبان كبيرة متنقلة حتى الوصول إلى شنقيط وقبل أن تفرغ في الصحراء الكبرى.

على بعد بضعة كيلومترات من شنقيط، نجد تشكيلات ذات أهمية كبيرة لمعرفة تطور المنطقة: "كلب الريشات"، الإمتزاج بين الستروماتوليت المتحجرة والصحراء نفسها، التي يحدد تشكيلها نمط الإستيطان البشري.

"كلب الريشات" هو بنية رائعة، والمعروفة باسم "عين أفريقيا". تعريفه الكامل عدة دوائر متحدة المركز من الكوبالت الأزرق، قطرها حوالي 50 كم، يمكن تمييزه حصراً من الأعلى. طور العلماء



منظر من آدرار

نظريات متنوعة حول نشأته؛ يؤوله البعض إلى تأثير نيزك كبير في حين أن تحقيقات أخرى تشكك في هذا العامل الخارجي وتشير إلى عمليات جيولوجية داخلية بدأت منذ ملايين السنين، مما خلق قبة أثرت فيها عوامل التعرية حتى عصرنا. كما أن هناك أيضاً نظريات أقل علمية تعزوها لسقوط مركبة فضائية غريبة في هذا المكان.

الستروماتوليت هي نتيجة لتجمع خلايا من شكل البكتيريا الزرقاء والتي تطلق الأكسجين وتلتقط ثاني أكسيد الكربون من الجو لتشكل صخوراً رسوبية. إنها أول علامات الحياة على الأرض، وأثر لاختفاء، من هذه الصحراء، المياه الدافئة والضحلة الضرورية لوجودها. في الطريق إلى شنقيط، تظهر في حقل واسع من الأحجار الكلسية الزرقاء والمبتلورة، من عهد العصر البدائي.



الستروماتوليت

استيطان منطقة آدرار

إن تشكل الصحراء كان حاسماً في اللحظات الأولى لاستقرار البشر في المنطقة. ووفقاً لآخر الأبحاث البيومناخية، تم تشكل الصحراء بشكل تدريجي كنتيجة لتأرجح كبير بين عصور قاحلة وأخرى ماطرة. خلال هذه الفترة الأخيرة، كانت المروج والبحيرات تغطي المنطقة، ثم انسحبت بالتدريج إثر حلول الجفاف.

تمت مقارنة البيانات المناخية القديمة مع المعلومات المستقاة من علم الآثار لمعرفة أشكال الإستيطان البشري. سكن الإنسان المنطقة منذ العصر الحجري القديم، في الأوقات التي ظهرت فيها المروج وكانت هناك ثدييات كبيرة تناسب الحياة البدوية للصيادين - القطافين. كان ذلك خلال العصر الحجري الحديث عندما نجد أكبر عدد من المستوطنين.

في آدرار تم العثور على مجموعة كبيرة ومتنوعة من بقايا هذا الوجود الإنساني: أسنة منحوتة، حجارة منحوتة الوجهين، مكاشط تم تطويرها إلى أشكال جد مصنعة مثل محكات، مجرفات، ورؤوس السهام وعظام النعام المحفورة. في ملاجئ الجبال، توجد أيضاً لوحات صخرية تمثل الزرافات والأبقار والمجموعات البشرية والرموز، المصنوعة من مغرة حمراء، تخبرنا عن البيئة التي عاش فيها هؤلاء المستوطنون ومراجعهم الرمزية.

بين أسطورة وتاريخ، تتكلم التقاليد عن "البافور"، وهم سكان استقروا في المنطقة وارتبطوا، وفقاً لبعض النظريات بمستوطنة أزوغي، قبل أن تصبح هذه الأخيرة مهذاً للمرابطين.



رسومات بدائية من أكرور

استدعت الحاجيات في هذا الفضاء الكبير البحث عن أمهات جديدة للعيش والتنقل فيه، عبر ربط بلدان الجنوب ومواردها بالشرق. في حوالي الألفية الأولى قبل الميلاد، قدمت مجموعات البربر بالعربات والخيول والإبل، والتي هي الأصل في القوافل، نظاماً مناسباً للتبادل البدوي.

في هذا السياق ظهور حركة المرابطين، عززته القبائل البدوية والبربرية، وقد وصلت إلى قمة ازدهارها في القرن الحادي عشر حيث امتدت سيطرتها حتى المغرب والأندلس.

يتم تعريف المظهر الحالي للمنطقة أيضاً من خلال إنشاء الواحات: استقرت المستوطنات البشرية في الصحراء بفضل الإدارة الذكية للموارد الطبيعية (خاصة المياه الجوفية) التي تتيح الحياة على الرغم من الظروف المناخية القاسية. يسمح توجيه الماء عن طريق القنوات بزراعة الحبوب والخضروات وأشجار الفاكهة، محدثاً طبقات طبيعية مختلفة تحت أشجار النخيل، كمانع للتبخر.

ستكون إحدى هذه الواحات شنقيط، وهي مستقر على طرق التجارة ومكان انطلاق أو محطة للقوافل.



صورة لدليل وحارس المواقع الأثرية

تاريخ

شنقيط



وفقاً للتقاليد الشفهية فقد تم تأسيس بلدة أولى تسمى آبير، في المكان الذي تقع فيه شنقيط اليوم، أسست في العام 160 من القرن الهجري، الموافق 777 م. تم إنشاء مدينة ثانية في عام 660 هـ / 1264 م. بقاياها لا تزال محفوظة. كانت جزءاً من الإمبراطورية المرابطية سوف تزدهر ابتداء من القرن الثالث عشر وخاصةً ابتداءً من القرن الثامن عشر.

أول تأكيد خطي لوجود شنقيط ذكره فالنتيم فرنانديز لبداية القرن السادس عشر، عندما أشار إلى وجود "أربع مدن وقرية واحدة وأربعة وديان بدون مياه، تقع في امتداد جبال بافور (السكان السابقون لمنطقة آدار)". وعد شنقيط باعتبارها ثالث أهم مدينة من بين تلك التي تم العثور عليها، بعد وادان وأوليلي. وستستعير موريتانيا لقرون اسمها من شنقيط، إذ كانت معروفة في الشرق العربي بـ "بلاد شنقيط".

تقع شنقيط على الطريق الغربي الرابط بين الجنوب المغربي والسودان، مروراً بمنطقتي آدارار وتكانت. هذا الطريق التجاري القديم، المعروف لدى المرابطين باسم "أطريك اللمتوني"، سيكون لقرون المنفذ الرئيسي إلى الذهب ومنتجات السودان الأخر.

العامل المهم الآخر الذي من شأنه أن يعزز ازدهار المدينة هو سبخة الجيل، حيث يستخدم الملح كعملة تبادل رئيسية في المعاملات التجارية. خلال القرون التالية، سيؤدي تراجع التجارة السودانية إلى إعطاء الأولوية للتبادل مع أوروبا، وخاصة مع البرتغال، ثم مع المغرب لاحقاً. تطوير التجارة الأطلسية في القرنين التاسع عشر والعشرين نكسة اقتصادية واضحة للبلاد.

في الوقت الحاضر، شنقيط هي مدينة صغيرة تقوم على اقتصاد معاش. و قد تفرد السكان للزراعة والتنمية الحيوانية والسياحة. هناك متاجر صغيرة وخيام، خاصة في الجزء الأكثر حداثة من المدينة، حيث توجد، إضافة إلى ذلك، المنشآت والهيئات الإدارية.

القوافل

منذ القرن الثاني عشر وحتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كان هناك تنقلات مكثفة للقوافل التجارية التي تعبر الصحراء الكبرى. وصلت القوافل من الشرق والغرب، وربطت بين أماكن نائية مثل مكة المكرمة أو القاهرة أو فاس أو الإسكندرية.

كانت القوافل عادة ترحل في فصل الشتاء. في بعض الحالات كانت تتكون من آلاف الجمال التي انطلقا من الجنوب، حملت الملح والذهب والعاج وريش النعام والشمع والعبيد. ومن الشمال استوردت المنتجات المصنعة الأوروبية والتبغ، من بين سلع أخرى.

المدن الواقعة على سبيل هذه الطرق، في وسط الصحراء الكبرى، كما هو حال شنقيط، طورت نشاطاً اقتصادياً مهماً. كما كانت أيضاً أماكن لتبادل المعرفة. ساهمت القوافل التجارية في ازدهار التعاليم الروحية، حيث نشأت في تلك المناطق المحاضر أي المدارس الصحراوية، وكذلك ضمنت تمهداً احتكاريًا للثقافة الإسلامية. ستكون المخطوطات جزءاً مهماً من التبادل التجاري في الصحراء، حاويات للمعرفة في مواد كعلوم الدين والطب وعلم النبات وعلم التنجيم.



واحة في شنقيط

وبالرغم من كون شنقيط نقطة أساسية في طرق القوافل، لا يمكننا حاليًا تحديد أي خان للقوافل أو حظائر أو أماكن لاستقبال المسافرين. ومن المرجح أن الأسر نفسها كانت تحتضنهم في منازلها الخاصة.

بعد الغزو الفرنسي للجزائر في عام 1830، ومع فرض الرقابة الجمركية على حدودها، عانت حركة القوافل، وعلى الرغم من إعادة تنشيط طريق موغادور - تومبوكتو بفضل العبرانيين الذين استقروا في مالي، فستكون هذه بداية تراجع طرق القوافل.

وفقًا لشهادة الذهبي ولد زيدان، رئيس قديم لشرفة وادان، في عام 1947، شاهد آخر قافلة مؤلفة من 35 جملاً كانت تنتقل من غينيا إلى واحات وادي درعا المغربي والمحاميد والتاكونيت والزاغورة. أكد بعض سكان شنقيط أنه في عام 1967 غادرت قافلة صغيرة المدينة، لكن ذلك كان مجرد عمل فردي، مقاومة للتغيرات في أنماط الحياة.



قطيع جمال

مدينة شنقيط

20

تخطيط مدني وعمارة



لقد تم إدراج مدينة شنقيط في قائمة التراث العالمي لليونسكو عام 1996، إلى جانب المدن التاريخية الثلاث الأخرى في موريتانيا: ولاته، وادان وتيشيت، كونها انعكاساً للهندسة المعمارية والتخطيط العمراني المتكيف مع الظروف الصحراوية والمرتبطة بأشكال الحياة البدوية. كما أنها إحدى سبع مدن مقدسة في الإسلام.

البلدة الأولى - آبير- كانت تقع شرق الموقع الحالي للمدينة، على بعد حوالي 6 كم. أجبر زحف الصحراء السكان على هجرها فأسسوا مدينة أخرى في القرن الثالث عشر أسموها شنقيط. أما آبير فقد دفنت تحت الكثبان الرملية. دخلت المدينة الجديدة التاريخ إذ أدت خدماتها على طرق القوافل التي عبرت القارة الأفريقية حتى النصف الأول من القرن العشرين.

النسيج السكاني

إن السكان الحاليين يميزون ثلاث مناطق مختلفة وفقاً لأصلهم وتخطيطهم الحضري:

- **لقصر:** المدينة القديمة، ذات التصميم العضوي، والشوارع الضيقة، والمباني التي تضم طابق أو طابقين.
 - **البلدة الشرقية:** مع نمو المركز التقليدي، استقر السكان في شرق البلدة، تاركين مساحة كبيرة بين الناحيتين، حيث يوجد خزان المياه والمبنى الثقافي الكبير الذي تم بناؤه في السنوات الأخيرة. في الحي الشرقي المذكور، الشوارع واسعة والأراضي أكبر وتظهر مباني معزولة. وقد امتد هذا النمو حالياً نحو الجنوب، محيطةً بلقصر القديم.
 - **البلدة الشمالية:** بعد بناء الحصن الفرنسي في الحقبة الاستعمارية، بدأ السكان بالاستقرار في البلدة الشمالية، ففيها توجد تقريباً جميع تجهيزات وخدمات المدينة: المدارس، ومجلس المدينة، إلخ. ويمتد ذلك إلى الجانب الآخر للبطحاء، نحو الشمال.
- لا يزال التناقص السكان من مركز شنقيط الأصلي متواصلاً، إلى جانب النزوح من لقصر إلى المناطق الحديثة، عدا عن الهجرة نحو مدن أخرى مثل أطار أو نواكشوط.



أحد شوارع شنقيط وفيها تظهر المنذنة

إن لتشكيل قصر القديم أهمية كبيرة من وجهة النظر التاريخية ولتفرد تشييداته، فمن بين الابنية هناك معظم المكتبات، التي تعد السمة المميزة لهوية المدينة. يمكن ملاحظة حيين مختلفين في لقصر في شرق وغرب المسجد، حيث استقرت أصلاً قبائل لقال وإدوعي.

المسجد القديم هو أهم مبنى في مدينة شنقيط وحوله البلدة التقليدية بأكملها وتوسعها اللاحق. ويتكون المسجد من فناء كبير ومعابر بشكل أقواس أنيقة للوصول إلى قاعة الصلاة. لكن لا شك أن أكثر ما يميزها هو مئذنتها الشاهقة، قاعدتها مربع وارتفاعها يبلغ عشرة أمتار، وهي مبنية بالكامل من الحجارة الجافة. وتعلو كل من قممها بيضة نعامة، التي يعود استخدامها في المنطقة إلى العصر الحجري الحديث.

شأنه كشأن قصور شمال إفريقيا الأخرى، فإن اقصر شنقيط مدينة محصنة، ومتراصة بشوارعها الضيقة (4 أو 5 أذرع) ومبانيها المحكمة الإغلاق. تتمتع المنازل التقليدية بممرات مرتفعة من جهة الشارع لمنع تسرب الرمال، والمدخل المنعطف، يمنع الرؤية المباشرة للدخل. والواجهات بالكاد توجد بها فتحات تطل الخارج والمسكن ينفتح بشكل أساسي على الفناء الداخلي (أثووديره).



مشهد حضري في شنقيط

يعمل هذا البناء الذكي للبيوت - بالإضافة إلى الحماية من هجمات القبائل الأخرى - على الحد من التشميس المباشر للمنزل والحفاظ عليه مكيفاً. وتتوزع جميع الفضاءات من حول الفناء، الذي هو روح المنزل حيث تقضى الحياة اليومية. تتأقلم الغرف المختلفة مع احتياجات الأسرة وفقاً لكل فصل من السنة وضروريات الأقارب أو المسافرين الذين يقيمون فيها. فالغرفة الرئيسية هي السكفة، والتي عادة ما تكون أكبر من غيرها، وقد تحتوي على مساحات مختلفة مقسمة بأعمدة أو رافدات من الحجارة. بالكاد نجد أثاث باستثناء بعض السجاد وطبق الشاي والأثاث أو الصناديق التي تحمي المخطوطات. المطبخ أو تهنت عبارة عن غرفة صغيرة تقع في زاوية من الفناء حيث لا يزال يطبخ فيها بواسطة الموقد. ويستخدم درج صغير للولوج إلى السطح، وهي فضاءات أصبحت امتداداً للحياة في المنزل. وتستخدمها النساء عادةً، وسيكون أيضاً المكان الأكثر برودة في المنازل حيث تقضى الليالي في الصيف.



نساء في شوارع شنقيط

البناء التقليدي

ترتبط الحرف وتقنيات البناء بالأشكال التقليدية للحياة البدوية في الصحراء. كان لكل قبيلة حرفي خاص بها "لمعلم" وهو يعرف تقنيات العمل على موارد الأرض وتلبية الاحتياجات.

إن كان هناك شيء يلفت انتباه المسافر عند زيارة مدينة شنقيط التقليدية، فهو جدران منازلها المبنية بالكامل بالحجر المحلي الجاف (الحث). هذه الجدران عبارة عن حائط مؤلف من صفيحتين من الحجارة، محشية داخلياً باستخدام احجار صغيرة مع الطين. يبلغ سمك الجدار ذراعاً (قراة 50 سم).

نهاية الجدران على ارتفاع السقف، تستقر عليه جذوع النخيل. وقد تمدد بأحجار مسطحة إلى ارتفاع حوالي 50 سم وتكون معلقة صوب الداخل بمسافة 10 أو 15 سم.

على العادة تصنع دعامة السقف من جذوع ذكور النخيل (الغير مثمر) وهي الأكثر توفراً في المحيط، ولكن خشبها مسامي للغاية وهش. ويستخدم نصف أو ربع الجذع حسب الحاجة، ويترك حوالي 30 سم بين الجذوع والآخر. الحد الأقصى للمسافة بين الجدران الذي يمكن أن يغطيه الجذع هو 2 إلى 2.5 متراً. يستخدم كذلك خشب الصنط ولكن بشكل أقل لندرته رغم كونه أجود في التغطية. نجد حالياً شكلاً آخر من الخشب أحمر اللون وأكثر صلابة يستورد من خارج موريتانيا معروفاً تحت اسم "ابو روج" أي "الخشب الأحمر".



كوخ تقليدي في أحد المخيمات يستعمله جامعي التمور

يتم وضع جريد النخيل مشبكاً أو حصائر مصنعة يدويًا في الواحة، سنتطرق لصنعها لاحقاً، على عوارض النخيل. في بعض الأحيان، يتم وضع الجريد في حزم تشبك عمودياً على العوارض. فوق الحصير توضع طبقة من القش أو الحلفاء تعمل كعازل. وفي مستوى أعلى، يتم وضع طبقة أولى من الطين المبلل سمكها حوالي 10 سم ثم تضام. وفوق هذا، هناك طبقة أخرى من الطين الأكثر جفافاً، يبلغ سمكها حوالي 20 سم، وهي ستعطي المنحدرات التي تسهل صرف المياه، المياليب تصنع من جذع نخلة مثقوب وجاحظ من خط جبهة البناء. في بعض المياليب، مثل مكتبة آل حبت نجد قطعاً خزفية أسطوانية الشكل مدرجة في فتحات بالسقف لإنارة وتهوية الغرف الداخلية.

كما أن النجارة والأبواب والنوافذ مصنوعة من الخشب باستخدام الجزء المركزي من جذع النخلة أو السنط حسب المتوفر. نجد أعواداً أو أوتاداً عالقة في الجدران الداخلية لتعليق الملابس أو أشياء الأخرى.

أرضيات المنازل مصنوعة من الطين والحصي أو الحصى المضغوط. في بعض الأحيان، تمدد هذه الطبقة طبقة من الرمال الناعمة. نجد أيضاً العديد من المنازل التي يرتفع فيها جزء من أرضية الطابق الأرضي حوالي 30 سم عن مستوى الأرض. وقد تغطي بالواح حجرية كبيرة تحدث تجويفاً



سقف بيت تقليدي في أحد منازل شنقيط

تحتها (على سبيل الأفران الإسبانية التقليدية) حيث يوضع الجمر الذي يسخن الأحجار ويعمل كنظام تدفئة في الشتاء. نرى هذا النظام في مكتبة أهل لوداعة، ضمن أشياء أخرى، محفوظاً تماماً حتى اليوم.

ولعل أكثر ما يميز الهندسة المعمارية الشنقيطية هو جدرانها الحجرية الجافة ذات الزخرفة السنخية. هذه زخارف هندسية بسيطة يسود فيها التناظر. وهي مصنوعة من نفس الألواح الحجرية المستخدمة في الواجهة، في مستويات محفورة أو على شكل نخروب مثلث أو مربع. نجد هذه الزخارف فقط على الواجهة الرئيسية للأبنية. نحو الشارع ويلي المنزل متقشفاً دون أي غرض تزييني. في بعض الأحيان تزين هذه الأشكال أيضاً الأجزاء الداخلية، حيث يتم استخدام مشكاة مربعة لتخزين مسائل صغيرة. (انظر مكتبة حامي). نلاحظ أيضاً الأقواس السفلية التي تفتح الممر في الجدران الحاملة بين الغرف (انظر مكتبة أهل لوداعة).

تحتوي الأرض المستعملة على الطين، مادة تستخدم تقليدياً في بناء جميع منشآت شنقيط. يتم استخراجها من مناجم آقوجي، الواقعة شرق الواحة على بعد حوالي 500 متراً، تحت الكثبان الرملية. تكلفته باهظة الثمن، ويجب على العامل فيه النزول إلى كهف تحت الأرض عمقه 7 أمتار ويستخرج يدوياً. يتم إحضاره إلى السطح عن طريق بكرة. (صورة)



أحد البيوت التقليدية من الداخل

تستخدم التربة الطينية في الأعمال النهائية السطحية للجدران كالطلاء. ونظراً لندرة وتكلفة المواد، فقد اقتصر استخدامها تقليدياً على المناطق الداخلية في المنازل. في بعض الأحيان يتم تغطية الجدران الداخلية بطلاء الجير أو الكلس. حالياً يمكننا أن نرى استخداماً واسع النطاق للأسمنت في البناء. هذه المادة، على الرغم من كونها مثالية في الإنشاءات المعاصرة، فهي ليست الأنسب في الهندسة التقليدية، لأن سلوكها وخصائصها تتعارض مع سلوك المواد الطبيعية مثل الطين أو الخشب. يتم كسر التوازن الحراري للأبنية التقليدية مع استخدام مواد جديدة صلبة ومقاومة للماء مثل الأسمنت.

تواجه مباني شنقيط التقليدية تهديداً يؤثر أيضاً على الهندسة المعمارية التقليدية لمناطق أخرى من العالم: هجوم الحشرات الآكلة للخشب. العديد من منازل المدينة تعاني من هجمات النمل الأبيض التي تتكاثر بسرعة ويصعب القضاء عليها. يتعرض خشب النخيل، المسامي للغاية والهش، لهجوم من الحشرات التي تنطلق من الأرض وتعبّر الجدران لتصل إلى خشب الأسقف. من الضروري معالجة جميع الأخشاب قبل استخدامها.



منجم تربة طينية



أحد شوارع شنقيط



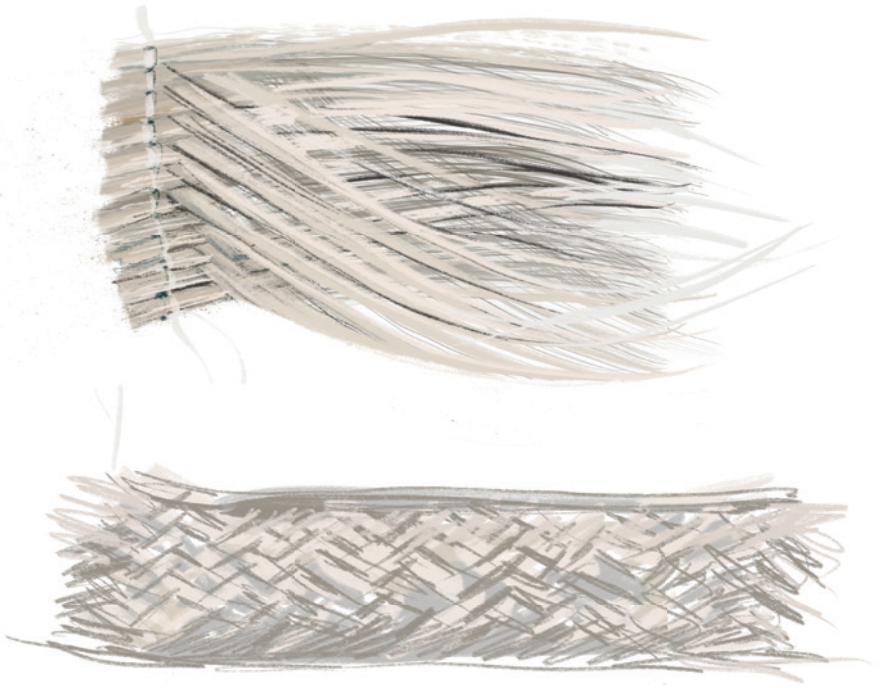
مدخل أحد الأبنية التقليدية

إن العمل اليدوي المعتمد على النخيل مرتبط بالبناء والحياة المنزلية، حيث يُصنع أشياء مختلفة:

- **حصائر للسقف.** وهي مصنوعة بتقنيات مختلفة، أكثرها شيوعاً هي تلك التي تستخدم جريد النخيل الذي يقطع صفائح طويلة، ثم تضفر حتى تشكل مساحة متصلة ومقاومة توضع فوق العوارض، لتمنع الطين أن يسقط في الغرفة. في بعض الأحيان تستخدم قضبان أو أجزاء أخرى من النخيل كسعفه. من الواضح أن هذه المادة لها أيضاً وظيفة زخرفية واضحة، لذلك سترهو تصاميم مختلفة في منازل الواحات.
- **السجاد.** وهي تستخدم لتغطية أرضيات المنازل، الرملية تقليدياً، وتوفير النظافة والوقاية من الحر. يتم نسجها باستخدام سعف النخيل وحبال مصنوعة من نفس المواد للحبابة.
- **سلال.** تلبية للحاجيات اليومية لتخزين البضائع أو دعمها أو نقلها، تصنع النساء تقليدياً سلال وحاويات مختلفة من سعف النخيل.



أعمال تجديد سعف النخيل



مكتبات

شنقيط



نشرح في هذا الباب بعض التفصيل معلومات عن المكتبات التي شاركت في المشروع.



المبنى



المخطوطات

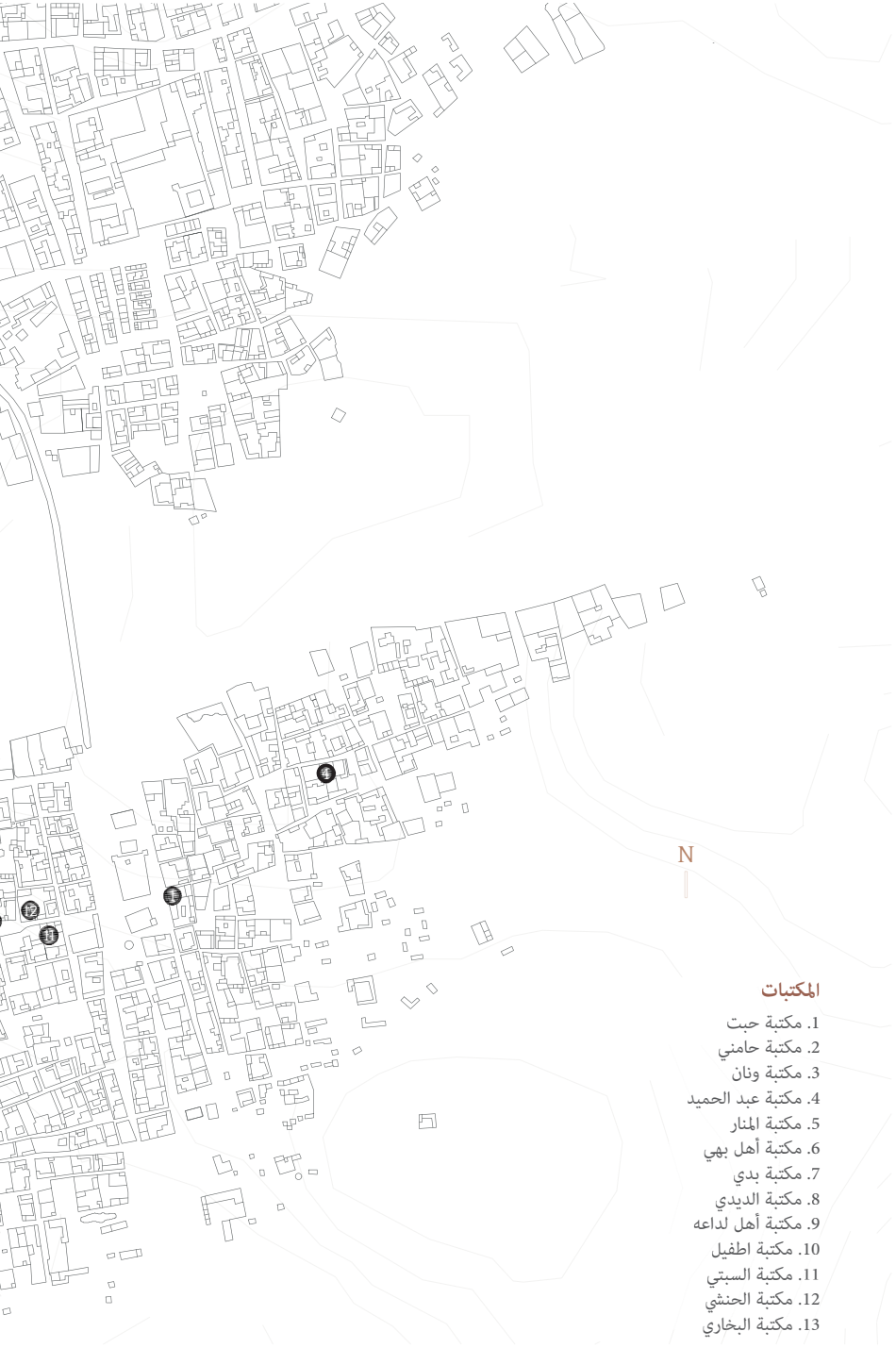


التفرد



الموقع

مخطط مدينة شنقيط. المكتبات.



المكتبات

1. مكتبة حبت
2. مكتبة حامني
3. مكتبة ونان
4. مكتبة عبد الحميد
5. مكتبة المنار
6. مكتبة أهل بهي
7. مكتبة بدي
8. مكتبة الديدي
9. مكتبة أهل لداعة
10. مكتبة اطفيل
11. مكتبة السبتي
12. مكتبة الحنثي
13. مكتبة البخاري




1. مكتبة حبت

تقع في الجزء الشرقي من المدينة، أمام الساحة الكبيرة للسوق وخزان المياه. 

هي إحدى أوائل المكتبات بشنقيط، السيد القديم سيد محمد حبت، 78 سنة. 

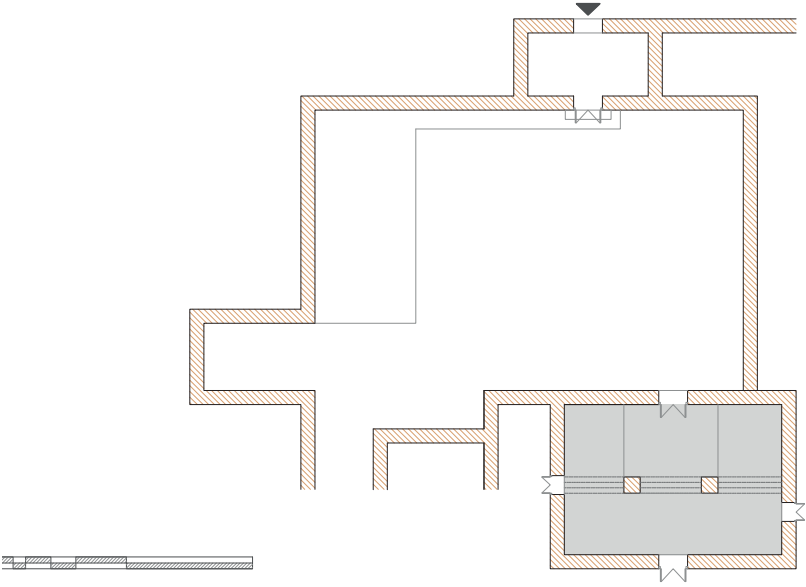
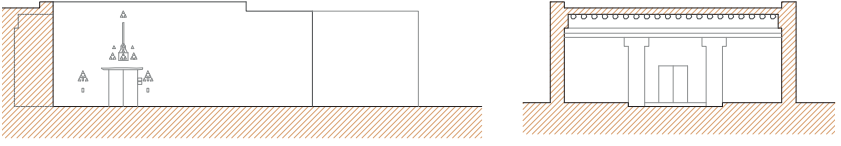
أسسها في القرن الثامن عشر سيدي محمد ولد حبت (1784-1869)، وهو سليل الخليفة أبو بكر الصديق. توسعت المكتبة بفضل الإستحواذ على مكتبات من شمال افريقيا وأماكن أخرى إضافة إلى نسخ كتب أخرى موجودة في المدينة.

يعود أقدم مخطوط ضمن مجموعة المكتبة المكونة من ألفي مخطوط إلى عام 1088. ونجد في هذه المكتبة النسخة الكاملة الوحيدة المعروفة للمؤلف الغرناطي أبو الهلال العسكري  تصحيح الوجوه والنظائر.

من الشارع يمكنك الوصول إلى ساحة فناء داخلية كبيرة عبر مدخل مرتفع وفيه إنحناء، على الطريقة التقليدية. تقع المكتبة في المقدمة، حيث يمكنك رؤية الزخرفة حول باب الوصول، والتي ستكرر أيضاً على الأعمدة الداخلية. تفتح على الفناء الغرف الأخرى، مثل المتحف الصغير أو قاعة المعارض أو قاعة الصلاة القديمة. المكتبة عبارة عن غرفة كبيرة من مستويين تم بناؤها بالطريقة التقليدية، مع جدران حجرية وسقف من جذوع النخيل وطين. عائلة حبت، الأكثر نفوذاً والتزاماً بحفظ ونشر المخطوطات كقيمة ثقافية وهوية.




باب مكتبة حبت




باحة دخول مكتبة حبت

2. مكتبة حامني

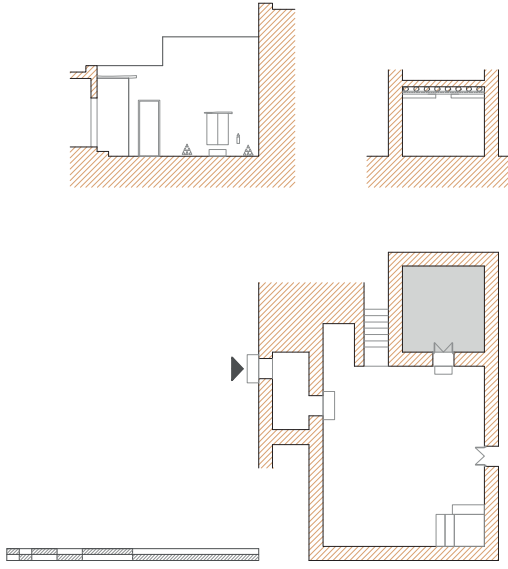
تقع في أقدم منطقة بالمدينة في القصر مقابل المسجد. 

هي أحد أوائل المكتبات في شنقيط. حامني ملتزمة بعمليات حفظ المخطوطات لدرجة كبيرة. 

واحد من أجمل المنازل في المدينة. يتم الولوج إليه من خلال بهو منعرج، ومرتفع بضع درجات فوق الشارع لمنع تسرب الرمال. من هذه المساحة الصغيرة، يمكنك الوصول إلى الفناء الذي يتوزع حوله المنزل. تقع المكتبة في الجانب الشمالي، في سطح يرتفع حوالي 45 سم عن مستوى الفناء. نصل عبر باب صغير إلى غرفة على شكل مربع وبها تكوين متقن للعوارض والجريد في السقف. كل من المكتبة والغرفة العليا مطلية بالجير الأبيض. يجذب الانتباه جمال الزخارف من المساحات وأسقفها من جذوع النخيل. الرصيف من الرمل. 





باب مكتبة حامني




أحد الغرف داخل مكتبة حامي

3. مكتبة ونان

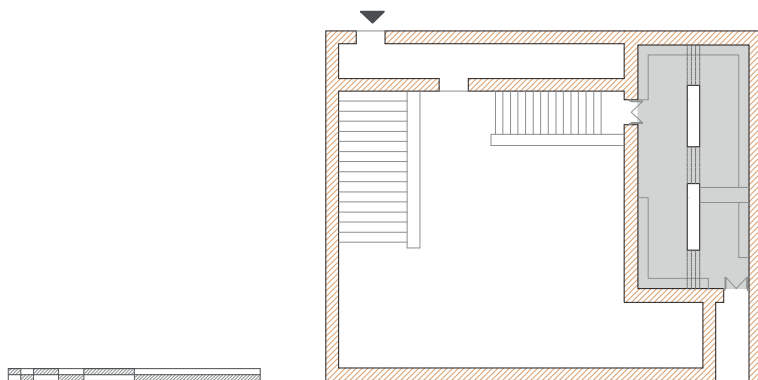
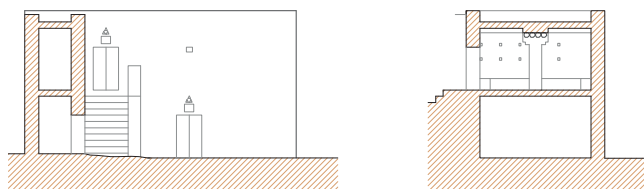
تقع في القصر، غرب المسجد القديم. 

من اللافت للنظر العناية الممنوحة لكل من فسحات المكتبة وكذلك المخطوطات. يوصى  بالعودة إلى السطح للتمكن من تأمل واحد من أفضل المناظر للمسجد القديم.

للوصول إلى المكتبة، ندخل من الشارع عبر قاعة ضيقة تؤدي إلى الفناء الداخلي للمنزل. تقع  المكتبة في الطابق الأول من المبنى. للوصول إلى غرفة المكتبة أو من أجل اعتلاء سطح المبنى، هناك درجان من الحجر جيدي الصنع. الرفوف في الغرفة مصنوعة من الحجر، وتقع على الجدران المحيطة. ويلاحظ تزيينات وفتحات صغيرة للتهوية.



باحة دخول مكتبة ونان




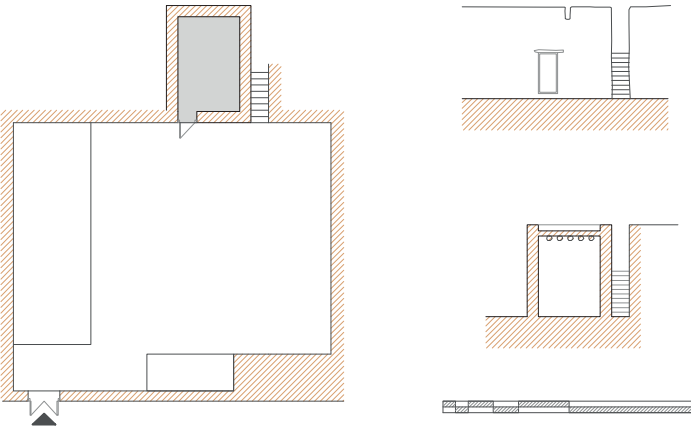
غرفة داخل مكتبة ونان

4. مكتبة عبد الحميد

تقع في حي طبرزا، في الجانب الشرقي من المدينة. 

هي واحدة من أقدم المكتبات، مع أن موقعها تغير على مدى الزمن. 


الوصول إليه من خلال فناء كبير. تشغل المكتبة غرفة صغيرة مبنية على الطريقة التقليدية. جدرانها حجرية وسقفها من النخيل والطين. 




مكتبة عبد الحميد

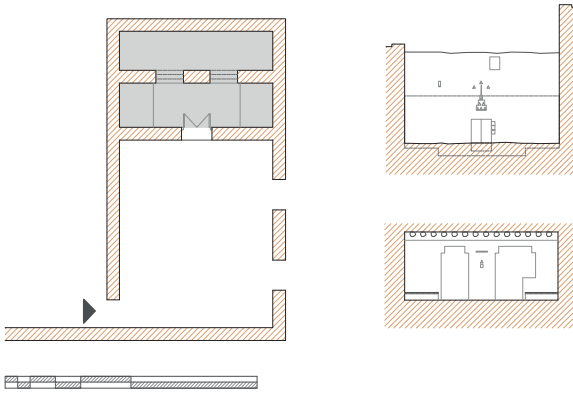
5. مكتبة المنار

تقع في القصر، في مبنى تقليدي. 

الزخرفة الهندسية لواجهة غرفة المكتبة تلفت الانتباه. 


علها المثل الأفضل عن البناء التقليدي للمدينة، رغم أن البناء متضرر للغاية. أرضياتها رملية  ونلاحظ تزيينات هندسية داخلية على الجدران والأعمدة. تنقسم الغرفة الرئيسية إلى مساحتين ونلاحظ ارتفاعاً في التبليط لتدفئة المكان من الأسفل.


43



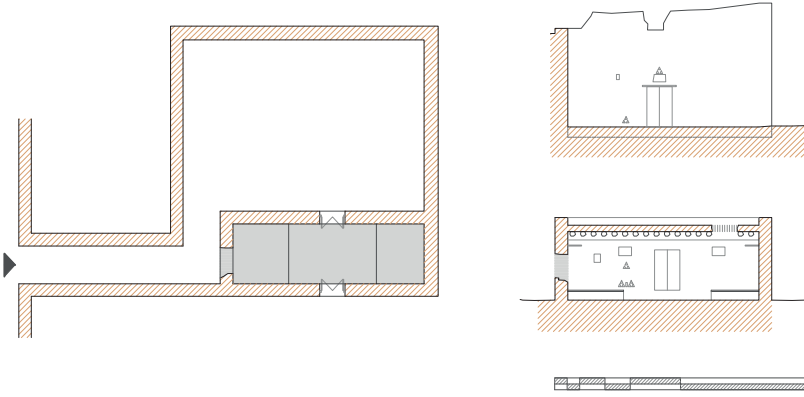
باحة دخول مكتبة المنار

6. مكتبة أهل بهي

تقع بلقصر في مبنى تقليدي. 

 البناء في حالة غاية في السوء، بل هو خراب. تُظهر واجهة المكتبة التي تطل على الفناء الداخلي للمبنى لعبة معمارية جميلة على الطريقة التقليدية. نرى أيضا زخرفة داخلية ذات سنخ ثلاثي.

44



باحة دخول مكتبة أهل بهي

7. مكتبة بدي

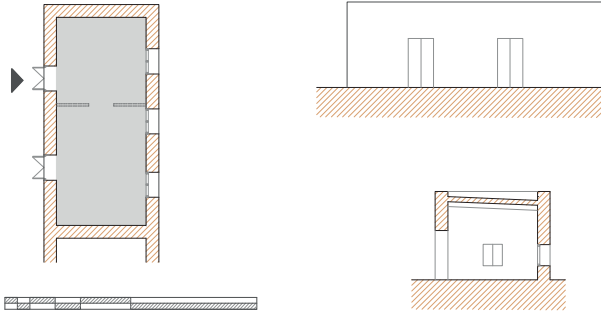
تقع بلقصر في مبنى تقليدي في منطقة التوسع نحو الجنوب.



في واحدة من قاعاتها تعطى دروس مدرسة القرآن.



تقع المكتبة في مبنى حديث نسبياً، تم بناؤه بنظام مختلط لجأ فيه إلى التقنية التقليدية المستعمل فيها مواد جديدة. هي مساحة واسعة نيرة، تجذب الانتباه النواذ التي تصل تقريباً لمستوى الأرض.



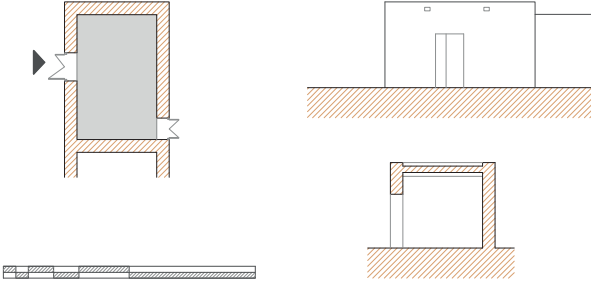
مخطوط في مكتبة بدي

8. مكتبة الديدي

تقع في مبنى تقليدي في منطقة التوسع نحو جنوب غرب لقصر.



مبنى حديث شيد بالحجارة وسقفه من النخيل لكن تمت إضافة الاسمنت لكسوته.




مدخل مكتبة الديدي

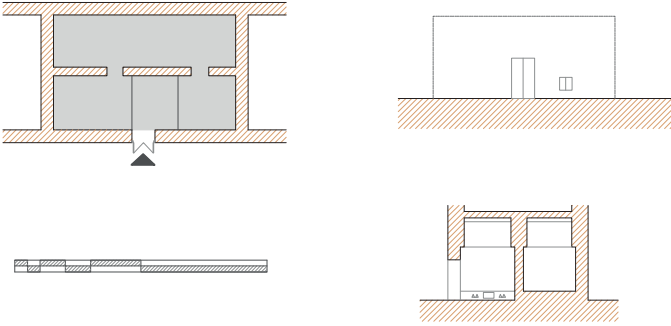
9. مكتبة أهل لداعه

تقع المكتبة في القصر القديم، بالقرب من المسجد. 

احتفظت المكتبة بشكل جيد بنظام التدفئة من خلال رفع مستوى الأرضية. 


واحدة من أدق الأمثلة على الهندسة المعمارية التقليدية. تتكون المكتبة من غرفتين ضيقتين  وطويلتين يصل بينهما ممرين وأقواس منخفضة. مغطاة بجذوع النخيل المطلية بالطين من الداخل.


47

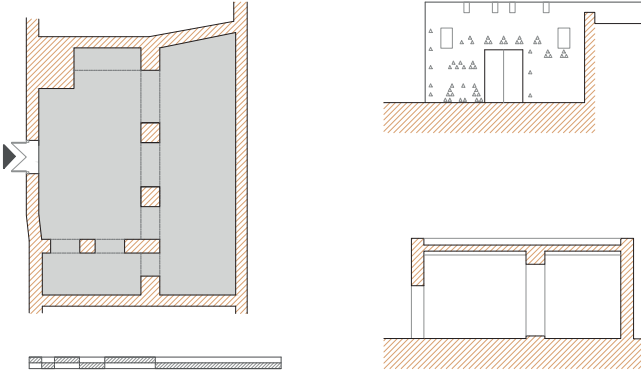


داخل مكتبة أهل لداعه

10. مكتبة اطفيل

تقع ملاصقة للمسجد من الغرب. 

مكتبة واسعة بناء معاصر على الطريقة التقليدية. مساحات داخلية واسعة ومعتنى بها للغاية بها زخارف سنخية من الحجر ومغلقة بالطين الترابي. 



مخطوطات في مكتبة اطفيل

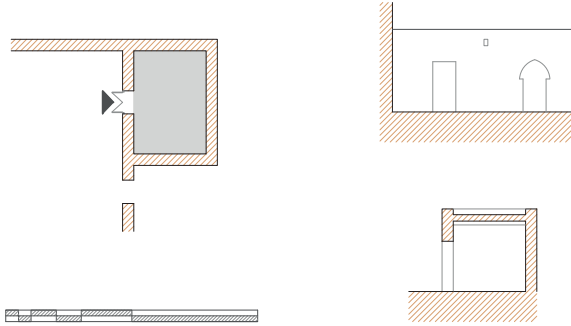
11. مكتبة السبتي



تقع بجوار خزان المياه.




تقع المكتبة في مساحة يمكن الوصول إليها من خلال الفناء الداخلي للمنزل. 




مكتبة السبتي

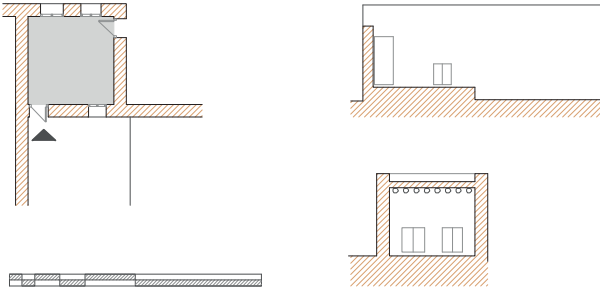
12. مكتبة الحنشي

تقع في أحد الشوارع متعامد مع مكان خزان المياه. 

الفناء داخلي جميل ذو أبعاد كبيرة مع فتحات مأطرة بالجير. 

مبنى تقليدي مغطى بجذوع النخيل. تشغل المكتبة مساحة صغيرة إلى الغرب من الفناء، وترتفع حوالي 45 سم عن سطح الأرض، وفيها العديد من النوافذ القريبة من الأرض للتمكن من النظر إلى الخارج وقت القراءة جلوساً على الأرض. فيها فناء داخلي جميل بأبعاد كبيرة وفتحات مطلية بالجير. تأوي الغرفة، المطلية بالأزرق، واحدة من أكبر مجموعات المخطوطات في الواحة. 

50




باحة مكتبة الحنشي

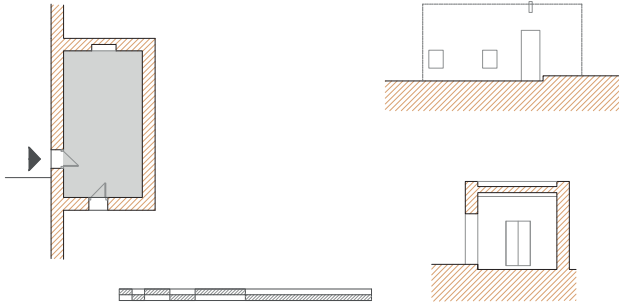
13. مكتبة البخاري

تقع المكتبة على بعد 400 متراً غربي المسجد. 

فيها مصحف مخطوط مع نقوش مرسومة. 

من الشارع يمكنك الوصول إلى فناء كبير يمكن اعتباره شارعاً داخلياً تقريباً. تقع المكتبة في مبنى بطابق واحد تم بناؤه بالطريقة التقليدية باستعمال مواد جديدة. غرفة بسيطة بها في المؤخرة مخزن واسع لحماية المخطوطات. 

51



مكتبة البخاري

مجموعات المخطوطات

إرث أسري



إضافة إلى خصوصية عمرانها ونظام البناء بها كمدينة قوافل، تشتهر شنيط بمجموعات المخطوطات العربية التي تصونها مختلف الأسر كإرث ينتقل من جيل إلى آخر.

يرتبط إنشاء هذه المكتبات ارتباطاً وثيقاً بالقوافل: الطرق التجارية والحج وسيلة لنقل المعرفة. بين البضائع تم نقل المخطوطات قادمة خاصة من المغرب العربي والأندلس وقد لعب ذلك دوراً أساسياً في نشر اللغة والكتابة العربية الكلاسيكية، وتعلم تخصصات متنوعة كعلم الفلك والنحو والشعر أو الجبر. القرآن وغيره من الكتب الدينية ألف جزءاً كبيراً من هذه المخطوطات، ما سهل انتشار الإسلام بسرعة.

عن هذه الطريقة، يبنينا تاريخ إنشاء هذه المجموعات والحفاظ عليها عن جوانب كثيرة من التقاليد العربية لشمال إفريقيا. أحدها هو الأهمية المعطاة للكتابة والدراسة، بإشراف الزوايا أو المرابطين، الذين احتلوا مكانة بارزة في المجتمع الموريتاني الطبقي للغاية في القرون الماضية. كان هدفهم الرئيسي هو التدريس، وخاصة تدريس الفكر الديني. الكتابة كانت الوسيلة لتثبيت الذاكرة، ربما كانت قيمتها رمزية في مجتمع يسوده الشعور البدوي.

يستجيب الحفاظ على هذا الإرث أيضًا للأهمية التي تعلقها الأسرة الضليعة في الثقافة العربية، كشكل أساسي من أشكال البنية الاجتماعية التي يتم تحديد روابطها من خلال الأسلاف. هذه المجموعات هي رابط مع نسب الأسرة. بالإضافة إلى ذلك، فإن بعض المؤلفين أو الناسخين أو المعلقين للمخطوطات هم أفراد من العائلات نفسها التي لا تزال تحتفظ بها حتى اليوم.

نجد هذا النوع من المكتبات العائلية في مدن موريتانية أخرى، مثل وادان، وفي بلدان أخرى حافظت على التقاليد العربية مثل النيجر أو مالي.

يشير عبد الودود ولد شيخ (2010) إلى أن تفرد شنقيط هو في نشاطها التربوي المتميز، حيث أصبحت وجهة للحج والتعلم منذ القرن السابع عشر وحتى القرن التاسع عشر، عندما كانت المدينة يحسب لها علماء ذاع صيتهم لحد تجاوز الحدود. وكان منهم سيدي محمد ولد حبت (توفي 1288/1871) والشيخ ولد حامني (توفي 1318/1900)، مؤسسي اثنتين من أهم المكتبات المحفوظة في شنقيط. هذا هو سبب كونها لا تزال تسمى "سوربون الصحراء".

مازال اليوم قائم بالمدينة هذا الاحترام للرجال الذين يحفظون العلم ويعرفون في المجتمع باسم "العلماء" ترى العائلات في مكتباتهم طريقة تعزيز هويتهم والاعتراف بصلتهم مع شنقيط.

لقد كانت رعاية المخطوطات موضوع اهتمام للعائلات لعدة قرون. يروي جيران شنقيط كيف أبقوهم في صناديق وخزانات. خلال موسم الجفاف، كانت المخطوطات تُنقل يوميًا إلى الشارع حتى تسلب الشمس الرطوبة المتراكمة خلال فصل الشتاء وموسم الأمطار. في الغرف، توضع أوعية مليئة بالماء لترطيب الجو وتضاف الأملاح في فتحات الجدران لإبعاد النمل الأبيض.



مخطوط منقوش في مكتبة حبت

المخطوطات

تعود الكثير من تلك المخطوطات إلى القرن الثامن عشر والتاسع عشر، والطبيعي أن تكون نسخاً لمخطوطات أقدم اختلفت بعضها.

55



مكتبة حبت



كتب في حفرة في جدران مكتبة حامي

فنون الكتاب الآلات والأدوات التقليدية

الطفرة الثقافية والتجارية في المنطقة شجعت تطوير فنون الكتاب، بما يتماشى مع الطابع الروحي لفعل الكتابة في الدين الإسلامي. من خلال مجموعات مخطوطات شنقيط، يمكننا التطلع على بعض الجوانب الهامة.

56

شكل الكتاب المعتاد هو من تقاليد إسلامية، ولكن بخصائص محلية. أحدها هو عدم وجود خياطة، بحيث يكون الكتاب عبارة عن كتلة من الأوراق المنفصلة والمحمية بغلاف جلدي له رفر، وهو شكل مميز لتجليد الكتب الإسلامي. ومن الحالات الشائعة أيضاً انجاز علب للتعليق ومصممة لحمل الكتب صغيرة الحجم، وعادة ما تستخدم للصلاة.

هذه الأغلفة أو العلب ذات أهمية خاصة باعتبارها تجسيداً لواحدة من الحرف المميزة للثقافة البدوية. الأعمال الجلدية كانت مخصصة للنساء، ضمن أعرف الحرفيين، اللواتي كن يعرفن الخصائص المتنوعة للمواد الطبيعية، كاستعمال قرون السنط في دبغ الجلود. للتزيين، رسمن أو حفرن رسومات بألوان حية بشكل أساسي الأسود والأحمر والأصفر والأخضر، حصلن عليها من نباتات أو أصباغ طبيعية. كانت الرسومات تمثل غنى إبداعياً كبيراً وكان لها محتوى رمزي، برزت بينها الرسوم الهندسية وكان بينها رسوم تجريدية تمثل حيوانات وحروف. ومن الجلود أيضاً، يتم حتى اليوم تصنيع منتجات أخرى مثل الوسائد أو أكياس للتبغ والسروج أو السروج نفسها.



بعض مخطوطات مكتبة حامي

الدعامة المستخدمة للكتابة تغيرت مع مرور الزمن. المخطوطات القديمة عملت على أوراق جلدية: جلود منظفة وممددة ومجففة، مثل غشاء الآلات الإيقاعية. تحت التأثير الإسلامي انتشر استخدام الورق، وقد استعمله العرب في القرن السابع. كان يصنع من أقمشة بالية عن طريق عملية معقدة: تذوب الألياف في حوض ماء حتى تصير لحيماً مائياً. ثم تصفى على مساحة مستوية، بواسطة حصر رقيق مصنوع من مواد نباتية في حالة الورق العربي. هكذا تتكون لبدة من السللوز ينجم عنها صفيحات الورق بعد أن تضغط وتجفف وتصمغ. وكانت تصبغ الأوراق بألوان عديدة من أجل المخطوطات الفاخرة.

من المهم جداً أن يكون الورق ناعماً كي ينساب القلم في خط منتظم ومستمر حسب الحاجة ومن أجل ذلك يلمع الورق بواسطة حجارة ملساء. عل هذه هي المهمة الأولى للخطاط.

وصل الورق العربي إلى درجة عالية من الجودة وانتشر في البلدان الأوربية من خلال الأندلس، ناجماً عن ذلك تطور هام في صناعة الورق. نحو القرن السادس عشر حل الورق الأوربي خاصة منه الإيطالي محل الورق العربي لكونه أرخص ثمناً. وإضافة إلى ذلك سحدث بعض التغييرات كاستخدام الهلام (الجيلاتين) للتحضير واستبدال الحصر النباتي بغرابيل ذات أسلاك معدنية. هذا يمكننا من التمييز بين الورق العربي والورق الأوربي: في مكتبات شنقيط عندما ننظر إلى الورق المعرض لحزمة من الضوء يمكن رؤية تشبيكات الغربال تاركة بوضوح خطوطاً مستقيمة على الورق الأوربي والذي



مخطوط من مكتبة الديدي

عادة يمكن أن يميزه. أما على الورق العربي، فتظهر الشفافية خطوطاً أقل وضوحاً وأحياناً منحنية. في القرن التاسع عشر، بدأ استخدام الخشب في التصنيع، مما أدى إلى خفض الجودة من حيث المقاومة والمتانة.

الحبر المستخدم لكتابة النصوص ورسم الزخارف الجميلة يعد من مواد مختلفة. كان الصمغ العربي أساسياً وهو صمغ يحصل عليه من بعض الشجر متوفر في المنطقة؛ كان يخلط بالماء والفحم للحبر الأسود أما الألوان الأخرى فتعد من أنربة وأملاح معدنية مسحوقة ناعماً. بالإضافة إلى ذلك قد تستخدم ألوان مستخرجة من نباتات مختلفة لتزيين المخطوطات القيمة بالرسومات والحروف الملونة.

تستخدم الأقلام في الكتابة وهي مصنوعة تقليدياً من قصب مجوف، يقطع طرفه بشكل منحرف ثم يشد. أما المحبرة فتنتح في قطع من الخشب ويمكن أن تحوي مستودعات عدة لأحبار مختلفة.



كتابة على لوح قرآني. مكتبة ونان



مخطوط منقوش في مكتبة حبت



مكتبة اطفيل

أعمال موجهة للحفاظ على التراث

لا شك عند أي كان في وجوب المحافظة على هذا التراث الغني.

ويعتمد الحفاظ على المخطوطات، شأنها شأن أي غرض آخر ثمين، على تقليل المخاطر التي تهدد سلامتها. فالطامة الأكثر انتشاراً هي تمزق الأوراق وما يربط بينها بسبب ما تعرض له المخطوط عند استخدامه، وبسبب هشاشته نتيجة لجفاف المواد المستخدمة فيه وعتقها. ولذا يجب التعامل مع المخطوطات بدقة وحذر، كما نتعامل مع كبار السن.

60

مخاطر أخرى تتعرض لها هي تسرب المياه، والرمل وبشكل أخص النمل الأبيض والقوارض الصغيرة، يتم تخفيف حدتها عبر غرف ودواليب ملائمة. وتعتبر صناديق الحفظ الفردية مهمة جداً للوصول إلى تخزين أكثر أمان، فبهذا نؤمن للمخطوط جلدًا آخر واقياً شديداً للمقاومة. كما يجب ان لا نغفل عن الحماية ضد الحرائق والسرقة ومحاولات الشراء الاحتيالية. فقد انتهى المطاف بالعديد من المخطوطات القيمة من جميع أنحاء العالم بأن قطعت أوصالها وبيعت أوراقاً مبعثرة من قبل تجار التحف عديمي الضمير. ومن المهم زيادة وعي الجميع بقيمتها وراثتها وما يقتضيه الحفاظ عليها في محيطها التقليدي.

لעقود من الزمن خلت، قامت منظمة اليونسكو وغيرها من المنظمات الوطنية والدولية كالمؤسسة الوطنية لحماية المدن القديمة (FNSVA)، والمركز الدولي للبحوث الصحراوية والساحلية (CIRSS) أو المفوضية الأوروبية من خلال المنظمة الغير حكومية موفيمينتو أفريقيا 70، كلهم قاموا بتطوير مشاريع لحمايتها. وشارك في هذا الحدث أشخاص مشهورون في عالم حفظ المخطوطات أمثال جان ماري أرنولت، من المكتبة الوطنية الفرنسية، والخبير الإيطالي في الحفظ ماركو ساسيتي.





أحد قاعات مدرسة شنقيط



مكتبة حبت

وفي الآونة الأخيرة، ما بين عامي 2006 و 2010، قام التعاون الإيطالي بتطوير المشروع الطموح "حماية مكتبات الصحراء"، والذي تم بموجبه انشاء مختبر في مدينة شنقيط بمبنى تملكه (FNSVA). مجهز بجميع العناصر اللازمة للتنظيف والرقمنة وتصنيع صناديق للحفظ. وقد شمل هذا المشروع بقية المدن التاريخية وكذا العاصمة، عبر المعهد الموريتاني للبحوث والتكوين في مجال التراث (IMRFMP)، كما قامت بتدريبات في مجال الصيانة لعدة فنيين موريتانيين في إيطاليا.

يساهم التعاون الإسباني حالياً بمشروع جديد لتحسين ظروف الحفظ في المكتبات العائلية. بشكل منسق، يجري العمل مع بلدية شنقيط، والمؤسسات الوطنية العاملة في المجال الثقافي (FNSVA و IMRFMP والمكتبة الوطنية)، ويعتمد ذلك على مشاركة الأشخاص الذين لطالما حافظوا على هذا الميراث لعدة قرون: أي الأسر نفسها.

لقد كانت نقطة الانطلاق هي توعية أمناء المكتبات وممثلي العائلات حول قيمة هذا التراث وتعلم تدابير الحفظ الأساسية. كما تم توفير التدريب على الرقمنة لكل من تقنيي المؤسسات الوطنية، وحتى للعائلات نفسها. ونتيجة لذلك، تم تنظيف جزء هام من هذه المخطوطات وتخزينها في صناديق فردية وتمت رقمنتها. هذه المهمة الأخيرة هي بمثابة حجر الأساس للحفاظ على التراث الوثائقي. فمن ناحية، يمكن الرجوع إلى محتوى المخطوط عبر النسخة الرقمية، مقللين بذلك من التعامل معه مباشرة؛ إضافة إلى ذلك -في حالة فقدانه- نكون قد حفظنا محتواه. إن تصوير المخطوط هو في النهاية إجراء أمني، فمن خلال الصورة يمكننا التعرف على المخطوط في حالة الاختفاء أو السرقة. كما أن الرقمنة أيضا هي بلا شك وسيلة لنشر المعرفة التي تكتنز بها هذه المكتبات.



تنظيف وحفظ المخطوطات

المخطوطات

إن صيانة ومواءمة مساحات المكتبات سيساهم في استكمال نتائج الحفظ والحماية. وعادة ما تكون غرف داخل منزل العائلة نفسها، والتي قد لا تكون أحياناً في أفضل الظروف. ولذا يتقرر إصلاح الأسطح والجدران والتشققات الداخلية للتقليل -قدر الإمكان- من دخول المياه وتراكم الرمال والغبار التي يمكن أن تلحق الضرر بالمخطوطات. وتتم استعادة هذه المساحات الواقع أغلبها داخل أو في محيط لقصر القديم، باستخدام مواد محلية تقليدية ووفقاً لتقنيات البناء التقليدية، التي يعرفها المعلمون المحليون.



الحفاظ على التراث

كأداة للسلام

64



تحرص المنظمات الدولية الرئيسية، وخاصة الأمم المتحدة واليونسكو، على القيمة الأساسية للتراث الثقافي من أجل تنمية الشعوب. إذ أنه ثمرة التنوع الإبداعي وانعكاس للتعددية، ولذا فإن عملية حمايته تحمل في طياتها رسالة الاحترام وتساهم في تحقيق ثقافة السلام.

في شنقيط وفي مدن أخرى قطعها طرق قوافل الصحراء -مروراً بالنيجر وموريتانيا ومالي وكل شمال إفريقيا- يعتبر الحفاظ على مجموعات المخطوطات لدى العديد من الأسر دليلاً وثيقاً وعاطفياً على قيم التراث الثقافي.

كانت هذه المخطوطات وسيلة لنقل المعرفة والأفكار؛ والجهود المبذولة لنسخها ونقلها كميراث للأجيال القادمة بمثابة انعكاس لبناء سياق ثقافي مشترك. وبما أن هذا التراث المثير للاهتمام قد وصل إلينا في أيامنا هذه، فإن الفضل حقيقة يعود فيه إلى العائلات التي عرفت قيمته باعتباره حاملاً لذكراهم وهويتهم الثقافية.

إن المهام التي يتم تنفيذها اليوم في شنقيط تتطلب توحيد الجهود لمواجهة الأخطار التي تهدد هذه المكتسبات الثقافية المعرضة للضياع. أولاً وقبل كل شيء: النسيان والهجر، ومساهمة العلماء، والشيوخ القائمين على حفظ ذاكرة المجتمع، هي مفتاح نقل القيم اللامادية لهذا التراث. والثاني: الافتقار إلى الوسائل والتدريب الخاص لكبح ودفع عمليات التدهور الناتجة عن الظروف البيئية القاسية. إن التمكين من القيام بمهام الحفظ الأساسية تسمح للعائلات بتحمل مسؤولية الحفاظ عليها.

وفي مواجهة النماذج التي تخول المؤسسات المنافسة الحصرية لحماية التراث الثقافي، فقد تم اقتراح دمج الأشخاص في مشروع مشترك. وهو نموذج يعتمد على التملك والمشاركة وتعزيز الهوية الثقافية والشعور بالانتماء إلى المجتمع، وهي خطوات تتطلب تشكيل مجموعات أكثر تماسكاً، حيث يسودها التعايش السلمي وثقافة السلام.

إن العدد الهام من المخطوطات والمكتبات المحفوظة حتى اليوم في شنقيط، لتسعة قرون بعد تأسيسها، لهو شاهد على الإزدهار الثقافي. في مجموعها، يرتفع مخزون هذه المكتبات إلى أكثر من أحد عشر ألف مخطوط، تعالج معظمها مواضيع المعرفة، من العلوم الإسلامية وحتى علم النجوم ومروراً بالرياضيات والطب.

هذه المكتبات المحفوظة بغيره من قبل ملاكها، في محيط ثقافي تقليدي، حيث يعد امتلاك مخطوط علامة تميز. كما أن المخطوط، إضافة، هو إرث رمزي.

للأسف نقول أن هذه المخطوطات مهددة جيداً. فالرمال والظروف المناخية وغياب وسيلة الحفظ المناسبة كل هذا يعرضها للخطر.

من أجل الحفاظ على المخطوطات وإظهار قيمتها، قامت المؤسسات العمومية بخطوات عملية خجولة، إلا أن هذه الجهود واجهت عراقيل من ناحية الإرتباط، الأبوي تقريباً، لأصحابها بها وبسبب الافتقار إلى المناهج المناسبة.

من ناحيتهم، أحس بعض مالكي المكتبات بالحاجة للتحرك من أجل تغيير الحالة المأساوية التي تتواجد عليها المخطوطات. وبهذه الطريقة نشأت "النهضة" وهي مؤسسة تجمع مسؤولي مكتبات أهالي شنقيط، والتزمت بتوعية الملاك والبحث عن عون من أجل وقاية ثروة الإرث الثقافي الهامة.

بفضل هذه الجهود وبفضل دعم بلدية شنقيط كما بفضل شركائنا في التعاونية الإسبانية، تم البدء بمشروع من أجل رَقْمَنَة ونشر هذه المخطوطات. حتى الآن تم القيام بنشاطات مستدامة على غاية من الأهمية: كتوعية أصحاب المكتبات لقيمة هذا الإرث وتعليمهم المهام الأساسية للحفظ والوقاية كالتنظيف وتصنيع علب خاصة إضافة إلى كل احتياطات الأمان اللازمة.

كما تم في إطار المشروع طبع بطاقات وملصقات عن معايير إدارة المكتبات، كما تم إنتاج وتوزيع دليلاً تعليمياً بسيطاً لتوجيه المسؤولين عن المكتبات والوافدين إليها حول طريقة تحسين حفظ المخطوطات.

لقد سمح المشروع كذلك بالبدء بعملية رقمنة بهدف الاستمرارية وفيه التدريب النظري والتدريب العملي في تقنيات الرقمنة. التدريب موجه لتهيئة عشرة من الشباب من بينهم أربعة نساء. سمح هذا التعليم برقمنة أكثر من 46 ألف صفحة من المخططات التي اختارها العلماء المحليين انطلاقاً من معايير مقررّة مسبقاً.

لا شك أن إعطاء هذا الإرث قيمة قد مر بالضرورة بإعلام أوسع جمهور ممكن. من أجل هذا تم توجيه الجهد الأكبر للرقمنة مع هدف مضاعف نصب أعيننا وهو التأكد من إستمرارية وحفظ النسخ الأصلية بأفضل حالة ممكنة، وبتسهيل وصول الباحثين إليها.

بعيداً عن الأعمال التقنية، تم تعزيز وعي المستملكين بضرورة تحسين ظروف الحفظ. في هذا الصدد تلعب "النهضة" لتجربتها وعلمها بالسياق دوراً مهماً من خلال المشاركة بورشات العمل والاجتماعات غير الرسمية.

لقد ساهم المشروع بالكثير في هذه الأهداف. من أجل هذا التزمت التعاونية الإسبانية، وبالتعاون مع الشركاء المحليين، بمواصلة المساهمة في تحسين ظروف المساحات التي يتم الاحتفاظ بمجموعات المخطوطات كوسيلة لدعم نتائج الحفظ.

جزيل شكري لكل من ساهم ليصبح هذا التعاون الرائع ممكن.

سيد أحمد حبت
رئيس جمعية النهضة

LEGARRA, José Javier. “Lecciones y enseñanzas para la lucha contra la pobreza: una apuesta por la baja tecnología en Mauritania. En: *II Congreso Internacional de Desarrollo Humano*. Madrid, 2009. (رابط)

Mauritania: ciudades y manuscritos: exposición organizada por el Instituto Hispano-Árabe de Cultura y el Instituto Mauritano de Investigación Científica. Madrid: Instituto Hispano-Árabe de Cultura, 1981.

MAUNY, Raymond. “Notes d’histoire et d’archéologie sur Azougui, Chinguetti et Ouadane”. *Bulletin de l’Institut français d’Afrique noire*. Série B, Sciences humaines. 17 (1-2) 1955, pp. 142-162.

MONOD, Théodore y ZANDA, Brigitte. *Le Fer de Dieu. Histoire de la météorite de Chinguetti*. Arlés: Actes Sud, 1992.

MONOD, Théodore. *Maxence au désert: souvenirs de la Mauritanie*. Arlés: Actes Sud, 1995.

OULD CHEIKH, Abdel Wedoud. “Le patrimoine manuscrit mauritanien”. En: *Conférence Internationale: Conservation des manuscrits anciens en Afrique*, Addis Abeba, 17-19 diciembre, 2010.

PASTOR MUÑOZ, Mauricio y VILLAR RASO, Manuel (eds.). *Las ciudades perdidas de Mauritania. Expedición a la cuna de los Almorávides*. Granada: El legado andalusí, 1996.

TANDIA IDRISSE et al. PÉREZ DE AYALA, José María (fotografías). *Mauritania, naturaleza y paisaje*. Madrid, Organismo Autónomo Parques Nacionales, 2011 (رابط)

TOLBA, Anne-Marie, SIBERT, Serge. *Villes de sables: les cités bibliothèques du désert mauritanien*. París: Éditions Hazan, 1999.

UNESCO. *Villes de mémoire. Anciens ksour de Mauritanie*. París: Centre du patrimoine mondial, 2005.

YAHYÀ, Ahmad ould Muhammad y REBSTOCK, Ulrich. *Fihris Mahtutat Šinqit Wa-Wadan* (فهرس مخطوطات شنقيط ووادان). Londres: Mu’assasat al-Furqan li-l-Turat al-Islami, 1997.

المراجع

AA.VV. *Mauritania y España. Una historia común: los Almorávides. Unificadores del Magreb y Al-Andalus (S.XI-XII)*. Granada: Fundación Legado Andalusi, 2003.

BONTE, Pierre. *L'Émirat de l'Adrar. Esquisses historiques*. Nouakchott: Centre de Recherches Inter-Africain en Archéologie, 1998.

Col.legi d'Aparelladors i Arquitectes Tècnics de Barcelona. *Projet Bibliothèque des Manuscrits à Chinguetti. Mauritanie*. Fondation Nationale pour la Sauvegarde des Villes Anciennes. AECID. UNESCO, 2000.

COMMUNE DE CHINGUETTI. AECID. *Une selection de manuscrits numérisés de Chinguetti. Projet d'appui a la numérisation et la diffusion des manuscrits des bibliothèques de Chinguetti*. Chinguetti, 2018.

CORRAL JAM, José. *Ciudades de las Caravanas. Itinerarios de Arquitectura Antigua en Mauritania, 1978-1981*. Granada: Fundación El Legado Andalusi, 2000.

DELAROZIERE, Marie Françoise. *L'art du cuir en Mauritanie*. Aix en Provence: Edisud, 2005.

DU PUIGAUDEAU, Odette et SÉNONES, Marion. *Mémoire du Pays Maure (1934-1960)*. Paris: Ibis Press, 2000.

DU PUIGAUDEAU, Odette. *Arts et coutumes des Maures*. Paris: Ibis Press, 2002.

FALL, Abdallahi, CORMILLOT, André, OULD BEYROUK, ADNAN, Mohamed, *L'Adrar (2). Les villes anciennes, Chinguetti et Ouadane et Le Guelib er Richât*. Saint-Maur: Editions Sépia, 2004.

FIERRO, Maribel. "Los manuscritos árabes de Mauritania". En: *Awraq*. Vol. 12 (1991); p. 205-207.

FONDATION AHEL HABOTT. *Catalogue des Manuscrits. Fondation Ahel Habott de Chinguetti*. Roma: Nottetempo; Siena: Comitato Biblioteche del Deserto ; Chinguetti: Foundation Ahel Habott, 2006.

GAUDIO, Attilio. *Le dossier de la Mauritanie*. Paris: Nouvelles Editions Latines, 1978.

GAUDIO, Attilio (comp.). *Les bibliothèques du désert. Recherches et études sur un millénaire d'écrits*. Paris: Harmattan, 2002.

GIACOMELLO, Alessandro et PESARO, Alessandro. *Sauvegarde des bibliothèques du désert. Matériaux didactiques*. Pasian di Prato: LithoStampa, 2009.

KRÄTLI, Graziano. *The Book and the Sand: Restoring and Preserving the Ancient Desert Libraries of Mauritania*. Part 1. World Libraries, Vol 14, No 1 (2004). (رابط)

LE QUELLEC, Jean-Loïc. "Art rupestre, Patrimoine archéologique et industrie pétrolière au Sahara". En: *L'art pariétal, conservation, mise en valeur, communication*, UNESCO, pp.23-28, 2009. (رابط)

فهرس المصطلحات

آدرار: إسم سلسلة جبال.

العرىف: مهندس معمارى، معلم فى أشغال العمارة.

الخشب الأحمر: خشب أحمر وقاسى يستورد من ساحل العاج.

خان القوافل: فندق أو ملجأ حىث كان مسافروا القوافل ينزلون.

ذراع: وحدة قىاس بحدود 45-50 سم.

قصر (ج. قصور): فى المغرب يستعمل هذا المصطلح بمفهوم أوسع للإشارة إلى قرية تقليدية مسورة.

لقلال وإدوعلى: قبائل قادمة من شنقيط، واللى يعزى إليها تأسيس أحياء القصر.

الحث: نوع من الحجارة الجافة المحلية واللى تستخدم فى الواجهاة والجدران.

معلم: إشارة إلى الطبقة الإجتماعية اللى تعمل بالحرف اليدوية.

محاضرة (ج. محاضر): مدرسة فى الصحراء.

سباط (جثجاث): عشب محلى يستعمل كعازل فى العمارة.

السكفة: قاعة البيت الرئيسية.

تهنت: المطبخ.

أنكوديره: باحة البيت.

اطريك اللمتوني: طريق المرابطين التجارى القديم بين المغرب (سجلماسة) والسودان.

الروايا: فئة إجتماعية تكرست للدراسة والتعليم. يستعمل هذا المفهوم فى بعض المناسبات كمرادف المرابط كونه يتردد على الرباط، الذى يعنى هنا مكان الصلاة والتأمل.

